بالخلق مع التقلب في ظلم الخلق ولا يرخص التنسك بالتقصير دون التمسك بالتقصير ولا يسعد بعرفة غير أهل المعرفة ولا يزكو بالخيف من رغب في الحيف ولا يشهد المقام إلا لمن استقام ولا يحظى بقبول الحجة من زاغ عن المحجة فرحم الله امرأ صفا قبل مسعاه إلى الصفا وورد شريعة الرضا قبل شروعه على الأضا ونزع عن تلبيسه قبل نزع ملبوسه وفاض بمعروفه قبل الإفاضة من تعريفه ثم رفع عقيرته بصوت أسمع الصم وكاد يزعزع الجبال الشم وأنشد

ما الحج سيرك تأويبا وإدلاجا ... ولا اغتباطك أحمالا وأحداجا

الحج أن تقصد البيت الحرام على ... تجريدك الحج لا تقضي به حاجا

وتمتطي كاهل الإنصاف متخذا ... ردع الهوى هاديا والحق منهاجا

وأن تواسي ما أوتيت مقدرة ... من مد كفا إلى جدواك محتاجا

فهذه إن حوتها حجة كملت ... وإن خلا الحج منها كان إخداجا

حسب المرائين غبنا أنهم غرسوا ... وما جنوا ولقوا كدا وإزعاجا

وأنهم حرموا أجرا ومحمدة ... وألجموا عرضهم من عاب أو هاجا

أخي فابغ بما تبديه من قرب ... وجه المهيمن ولاجا وخرّاجا

فليس يخفى على الرحمن خافية ... إن أخلص العبد في الطاعات أو داجا

وبادر الموت بالحسنى تقدمها ... فما ينهنه داعي الموت إن فاجا

واقف التواضع خلقا لا تزايله ... عنك الليالي ولو ألبستك التاجا

ولا تشم كل خال لاح بارقه ... وإن ترآى هتون السكب ثجاجا

ما كل داع بأهل أن يصاخ له ... كم قد أصم تعنّي بعض من ناجا

وما اللبيب سوى من بات مقتنعا ... ببلغة تدرج الأيام إدراجا

فكل كثر إلى قل مغبته ... وكل نار إلى لين وإزهاجا

قال الراوي فلما ألجم الأفهام بسحر الكلام استروحت ريح أبي زيد ومادني الارتياح إليه أي ميد فمكثت حتى استنهب نث حكمته واتخذ من أكمته ثم دلفت إليه لأتصفح صفحات محياه وأستشف جوهر حلاه فإذا هو الضالة التي أنشدها وناظم القلائد اللاتي أنشدها فعانقته عناق اللام للألف ونزلته منزلة البرء عند الدنف وسألته أن يلازمني فأبا أو يزاملني فنبا وقال آليت في حجتي هذه ألا أحتقب ولا أعتقب ولا أكتسب ولا أنتسب ولا أرتفق ولا أرافق ولا أوافق من ينافق ثم ذهب يهرول وغادرني أولول فلم أزل أقري به نظري وأود لو يمشي على ناظري حتى توقل أحد الأطواد ووقف للحجيج بالمرصاد حين شاهد إيضاع الركبان في الكثبان وقرع بالبنان على البنان وأنشده

Copyright © King Saud University